دور الخليفة أحمد الطيب ابن سالم في المقاومة الشعبية الوطنية1837-1847م بمنطقة القبائل

د.سلاماني عبد القادر*

الملخص:

رسخت فكرة المقاومة والدفاع عن الوطن في أذهان خلفاء الأمير عبد القادر، ومن أهم هؤلاء الخلفاء الخليفة بن سالم بمنطقة القبائل الكبرى، فقد أبدى وعيه الوطني وإدراكه للواقع وللمشروع الفرنسي مع تزايد أطماع التوسع الاستعماري، ولذلك كان يعرف مدى أهمية تنظيم المقاومة بالمنطقة تحت قيادة واعية تدرك المخاطر التي سوف تواجهها، لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي دفاعا عن الوطن الجزائري، وحفاظا على سلامة الشعب وأراضيه وشرفه وكرامته، لأنه كان يرى فيها أنها حرب طويلة الأمد ومشروع حضاري يتطلب المزيد من الجهد وسط مجتمع مشتت تمثله القبليات والزوايا بفضل تصديه لمشروع الاحتلال الفرنسي والعمل على بلورة مشروع وحدوي هدفه واحد ضد المحتل الفرنسي للأراضي الجزائرية، فقد أكدت تلك المعارك المتواصلة التي خاضها الخليفة وقواته بالمنطقة عن روح الإيمان بالمقاومة الوطنية، بالرغم من الضغوطات والصعوبات وشدة الخناق، والأساليب الفرنسية المستخدمة لتفرقة الشعب الجزائري، وكثرة الحاميات العسكرية وتعداد جيش الاحتلال الفرنسي لمراقبة قوات المقاومة الوطنية والتي كانت تفتقد شروط المواجهة من ناحية التجهيز والتدريب مقارنة بقوات الاحتلال الفرنسي، فقد نادى الأمير عبد القادر وخلفاؤه بالحس الوطني لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي، لإدراكه المهمة والمسؤولية الموكلة إليه لحماية الشعب الجزائري وتوطيد البلاد وإرساء فكرة توحيد الصف الوطني ورفض الاحتلال الفرنسي، الذي اغتصب الأراضي الجزائرية والمنتهك لحرمات الشعب ومساجده وتعاليمه الإسلامية والثقافية.

*-أستاذ باحث في قسم التاريخ بجامعة بشار، وعضو بمخبر البحث التاريخي - مصادر وتراجم جامعة وهران 1، الجزائر.

الكلمـات المفتاحيـة: المقاومـة ؛ الإسـتعمار الفرنسـي؛خلفاء الأمير عبـد القـادر؛ الخليفة أحمد الطيب ابن سالم ؛ منطقة القبائل الكبرى.

Abstract:
The idea of resistance and defending the homeland was established in the minds of the successors of Emir Abelkader. Among these caliphs, Caliph Ben Salem in the Great Kabylie who expressed his national consciousness and his understanding of reality and of the French project with the growing ambitions of colonial expansion. He therefore knew how important it was to organize resistance in the region under the conscious leadership aware of the risks that it will faces, to resist the French occupation forces in defense of the Algerian homeland, and to preserve the safety of the people and its land, honor and dignity. Because he considered it as a long-term war and a civilized project that required more effort in a dispersed society represented by tribalism and zawiyas thanks to its support to the project of the French occupation and his work on the creation of a unitary project with one aim against the French occupier of Algerian territory.
The continuous battles fought by the Caliph and his forces in this region has confirmed the spirit of faith in the national resistance, despite of the pressures, difficulties and the severity of the screws, the French methods used to divide the Algerian people, the French occupation army to monitor the National Resistance Forces, which lacked the conditions of confrontation in terms of euipment and training compared to the French occupation forces.
Emir Abdelkader and his successors called to the national sense in order to resist to the French occupation forces, Recognizing the responsibility entrusted to him to protect the Algerian people and consolidate the country and establish the idea of uniting the national row and rejection of the French occupation, which raped the Algerian territories and violated the sanctities of the people, mosques , Islamic and cultural teaching.

Key words: Resistance- Emir Abelkader- Great Kabylie- Caliph Ben Salem- French- Occupation- Algerian- The National- Consolidate- Responsibility.

مقدمة:

تكالبت الدول الأوروبية الاستعمارية من أجل احتلال الجزائر لعدة إعتبارات وخلفيات سياسية واقتصادية ودينية وحضارية، وذلك لما تزخر به من موارد اقتصادية ضخمة باعتبار الجزائر محرك المبادلات والحركة التجارية بالبحر المتوسط، فمشروع إحتلال فرنسا للجزائر هو تكملة لمشروعها التوسعي على كافة البلدان المغربية والإفريقية، مع تأمين موارد اقتصادية لشعبها ومصانعها وأسواق تمكنها من إنعاش الاقتصاد الفرنسي وتطويره ومنافسته للدول الأوروبية، لذا كانت استماتة الجيش الفرنسي كبيرة ومكلفة لاحتلال الجزائر، بعدما لاقت مقاومة جزائرية رفضت التواجد الفرنسي بالأرض الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر وخلفاؤه ومن أهم هؤلاء الخلفاء الخليفة بن سالم الذي عينه الأمير عبد القادر على منطقة القبائل، الذي قام مع قواته بمواجهة مشروع الاستعمار الفرنسي بجميع أساليبه، والمتمثل في القضاء على الدولة الجزائرية الحديثة، لذا برهنت قوات المقاومة الجزائرية بقادة الخليفة بن سالم بمنطقة القبائل على مدى تشبث الجزائريون بأراضيهم وشرفهم والدفاع عن ممتلكاتهم فمن هو الخليفة الطيب بن سالم؟ وكيف تم تعيينه من طرف الأمير عبد القادر على مقاطعة القبائل؟ وفيما تكمن إمكانياته الإدارية والعسكرية في مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي.؟ .

1- التقسيم الإداري للمقاطعات:

أراد الأمير عبد القادر إعطاء المقاومة الشعبية البعد الوطني، لذلك سعى لإنشاء مقاطعات إدارية تعمل على تنظيم مصالح الشعب الجزائري في إطار المقاومة الوطنية ضد قوات الاحتلال الفرنسي، فلم يكن الأمير جهوي أو متعصب لأفكاره، بل قام بتولية في كل مقاطعة رجلا من أبناء المقاطعة التي يحكمها، ومن أهم هذه

المقاطعات مقاطعة برج حمزة[1]، والتي ولى عليها أحمد بن سالم الدبيسي 1837-1847[2].

عمل الأمير عبد القادر بما تمليه عليه الشريعة الإسلامية في إدارة البلاد وتنظيم الشعب الجزائري لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي[3]، وكان هدفه الوحيد تحرير البلاد تحت سلطة واحدة، فقد أدرك الجنرال بيجو الطابع الوطني للأمير عبد القادر[4]، بعدما اشترط الأمير مقاييس للقادة الإداريين على أساس مراسيم يحررها الديوان الخاص وتختم بخاتم الدولة، وبعد تنصيبهم يسلم إليهم خاتما يستعمل في اعتماد القرارات الإدارية التي يصدرونها وعند انتهاء مهمتهم يعاد الخاتم إلى دار الإمارة كدلالة على انتهاء علاقتهم بالدولة[5].

لذا تم تقسيم السلطات على النحو التالي: فالخليفة يكون على مستوى المقاطعة له العديد من الاختصاصات حق مراقبة الأغاوات والقواد، أما الآغا يتولى مهامه مدة سنة قابلة للتجديد وله حق التصرف في المسائل العادية، بينما القائد مهمته الإشراف على شؤون القبيلة وما يرفع له من أمور تتعلق بالعشيرة إلى جانب الحفاظ على الأمن والفصل في بعض المنازعات وإقامة الصلح[6].

أما الشيخ فهو المسؤول القاعدي يعمل كوسيط بين القبيلة والقائد إلى جانب تمتعه بسلطات إدارية واسعة أهمها رئاسة الشرطة، مراقبة الأسواق والإشراف على الشؤون المالية وتثبيت شؤون الحالة المدنية ودوره الاتصال والتبليغ ورفع القضايا والأوامر والمطالب بين الديوان الأميري والقبيلة، وفوضت له سلطة حل بعض المنازعات القضائية العادية، أما القضايا الهامة فيحيلها إلى القائد، أهمية الشيخ الوظيفية هي عدم السماح لمن تقلدوا هذا المنصب بأي انحراف أو سوء تصرف أو إهمال وإلا وتعرضوا للعزل[7].

وضع الأمير عبد القادر مناد ينادي في الأسواق على أنه من كانت له شكوى فليرفعها من غير واسطة، فان الأمير ينصفه ممن ظلمه وأن ظلمه أحد ولم يرفع مظلمته للأمير فلا يلمن إلا نفسه[8]،حاول الأمير تجسيد شعار: (على كل موظف سامي في الدولة أن يخدم الدولة ولا يستخدم منصبه لأغراض شخصية) وبعد أداء اليمين

يحرر مرسوما خاصا بقلمه، كاتب الديوان يختم بخاتم الإمارة، وهو خاتم كبير الحجم منقوش بشعارات الدولة وهي على التوالي : في الدائرة:

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آجامها تجم.

على جوانبه (الله،محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، علي) وسط الدائرة الواثق بالتقوى المتين ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين والتاريخ 1248هـ [9]، بعد تسليم التنصيب تسلم له أختام الدولة عليها اسمه ولقبه ويحدد له راتب حسب رتبته التي تولاها ولا تزول الإمتيازات بوفاة المتولي أو عزله، فقد كان الأمير عبد القادر واعيا بالتنظيم.

2- تعيين الخلفاء:

استعان الأمير عبد القادر بالخلفاء وخول لهم مكانة سامية في الدولة الجزائرية، فالخليفة هو الممثل القريب للأمير يتمتع بالحكم الكامل في مقاطعته، ويراقب أعمال الأغاوات والقياد وهو الذي يقود الجيش في المعارك، لذلك كان من الضروري أن يتصف هذا القائد بالشجاعة والإقدام والمحافظة على دينه والصبر والحذر، [10] فقد إمتاز معظم الرجال الذين عينهم الأمير بالشخصية القوية، مما ولد لديهم الشعور بالواجب والإحترام[11]. كما كان لابد للخليفة أن يكون عالما بمبادئ الدين الإسلامي بسيطا وسهل التواصل في التعبير، وفي معالجة ومواكبة الأحداث وهذه الخصائص هي التي تؤهله ليكون تعبيرا صادقا في مهمته القيادية[12].

كانت مراسيم تعيين الخليفة تتم داخل ديوان الأمير، وعند تكليفه يسلم خاتما ويعطى له برنوس وجوخ من القماش الأحمر كرمز للتعيين،[13] بعد ذلك يحلف على صحيح البخاري بيمين الطاعة والإخلاص والتضحية في سبيل الوطن، لم يكتف الأمير بسلوك موظفيه الظاهري والمراسيم بل كان يستعلم عنهم جميعا وذلك حرصا منه على تسيير أمور الدولة على أتم وجه، وفي حالة وفاة الخليفة كان الخاتم يعاد إلى عاصمة الإمارة. [14] فقد تميز النظام الإداري الذي وضعه الأمير عبد القادر للخلفاء أن مدة توليتهم تبقى غير محدودة وكان الأمير يشاركهم في القرارات الحاسمة الخاصة بمسائل الدولة وفق مبدأ الشورى.

3- مهام الخلفاء:

قام الأمير عبد القادر بتحديد صلاحيات واسعة للخلفاء حيث ترك لهم الحرية في الحكم وتسيير الأمور بالمقاطعات التي عينوا على إدارتها، [15] فأوكل إلى الخليفة مجموعة من المهام العسكرية والإدارية، فللخليفة إستراتجية شاملة ذات ارتباط وثيق بالمعطيات الجغرافية لمقاطعته والعمل على حشد وتعبئة القوات للمقاومة معتمدا على المساند التالية: التطوع في الإقبال على التجنيد، والاستجابة الجماعية لنداء الجهاد، [16] أما في نطاق التنظيمات القضائية أوكل الأمير إلى الخليفة مهمة إقامة العدل ويساعده في ذلك كل من الأغا والقائد ومهمته بالتحديد إقامة الحكم على كل من لم يمتثل للقانون، ومن المسائل التي كان الخليفة يبدي فيها صرامته ولا يتساهل فيها في إقامة الحد هي: إقامة القبائل أو الأشخاص علاقات مع قوات الاحتلال الفرنسي، والتجسس لصالح قوات الاحتلال الفرنسي، ورفض المعونة، [17] وفيما يخص المسائل ذات الأهمية الكبرى يفصل فيها الأمير أو الخليفة ويقوم الخليفة بتعيين القاضي بعدما يجمع كل المعلومات التامة عن شخصيته ويعرض المسألة على مجلس العلماء المتكون من الفقهاء المحليين المتميزين بالعلم والنزاهة للنظر في مؤهلاته وكذلك لإفتاء في الدعاوي والفصل في الخصومات على المذهب المالكي [18].

رأى الأمير عبد القادر أن القيام بالمهام العسكرية والمشاريع الصناعية وتسيير الأجهزة الإدارية بالاعتماد على مداخيل وموارد بيت المال، تعد صورة من صور التعاون الاجتماعي، بحيث ربط جهد الأعمال الجهادية بالجهد الاقتصادي ولإنجاح هذه المهمة أصدر قرارات للخلفاء من أجل الإعتماد على أسس ومبادئ خاصة منها: التقيد بأحكام الشريعة الإسلامية، والالتزام بالعدل والمساواة بين الناس في الحصول على ما يتوجب عليهم من المتطلبات، مع الأخذ بإجراءات تتصف بالبساطة والكفاءة والمرونة والحزم في آن واحد بإنفاق المال في المصلحة العامة [19].

وتنفيذا لهذه المهمة كان الخليفة يقوم بجولتين في السنة، مرة في فصل الربيع وأخرى في فصل الصيف موسم الحصاد لجمع الزكاة، [20] بعدما يقوم بجمع

أعوانه من الأغاوات والقياد والشيوخ في يوم معلوم، وفي مكان محدد لدراسة إمكانية وقدرة كل قبيلة لجمع العشور،[21] وإن استعصى أمر جمع الزكاة سمح الأمير للخلفاء قبول بدل الأموال المواد الاستهلاكية والبغال والإبل وبالأخص الخيول، وبعد إتمام المهمة يسلم الخليفة بيان دفع الزكاة، وخلال هذه الدورات كان لزاما عليهم أن ينظموا إدارة الأغوات، وأن يعلموا الأمير بكل الشكاوى الموجهة ضد المسؤولين[22]، وبالإضافة إلى مداخيل بيت المال كانت تدرج الخطية التي تؤخذ من القبيلة التي ارتكبت جريمة جماعية، وفي نفس الوقت يقوم الخليفة مراقبة وكيل بيت المال الذي يعد حضوره ضروريا في كل عملية الجمع[23] .

4- توزيع القوات النظامية على الخلفاء:

وزع الأمير عبد القادر مدربي الجيش النظامي على كل المقاطعات لتسهيل مهمة الخلفاء ولبناء جيش موحد عبر كامل التراب الوطني، فاستطاع أن يوزع على خلفائه 1000جندي و250 فارسا وتزويدهم بمدفعي ميدان، [24]كما عين كذلك في كل مقاطعة الخياطين وصانعي الدروع والسروج لصنع وملابس الجند وإصلاح أسلحتهم والحفاظ على عدة خيولهم[25]، كما خصص الأمير 10٪ من محصول المعونة للخليفة ليستطيع تغطية مسألة الضيافة[26]، كما أنشأ مراتب إدارية وقضائية بسيطة تتماشى مع تعاليم الدين الإسلامي، كما قام باختيار الرجال الأتقياء ومن عائلات محافظة للسهر على ضمان السير الحسن لأمور الدولة[27]، وقد سعى إلى جعل السكان البعيدين عن السلطة المركزية يشعرون باشتراكهم في الحكم بالرأي والعمل، لذا عمل على تعيين الخلفاء حتى يؤسس الوحدة الوطنية.

5- مقاطعة القبائل الكبرى:

تمتد المقاطعة من الحدود الشرقية للمتيجة من مضارب "قبائل الخشنة" إلى منطقة جرجرة شرقا ومن الجنوب إلى ما وراء برج حمزة وجبال جرجرة،[28] عين الأمير عبد القادر بن سالم كخليفة عليها في 16ديسمبر 1837م[29] .

6- تعريف الخليفة أحمد الطيب ابن سالم:

ينحدر الطيب ابن سالم ابن مخلوف الدبيسي من عائلة شريفة ذات أصول مغربية من مدينة فاس انتقلت إلى الجزائر قبل التواجد العثماني بالمنطقة وأسست لنفسها زاوية تحت قيادة شيخها، سيدي سالم ابن مخلوف في نهاية القرن الخامس عشر للميلاد، استقر هو وعائلته في منطقة بوغني ثم انتقل بعدها إلى مدينة الجزائر[30]، ثم عاد بعدها للإقامة بمنطقة القبائل ليقيم عند بني جعد فأسس فيها زاوية وتفرغ للتدريس، وأخذ "سي محمد بن سالم" مشيخة الزاوية، كان له ثلاثة أبناء أحمد طيب وعلي وعمر،[31] يعتبر الطيب ابن سالم أكبر إخوته، نشأ تحت رعاية والده، حفظ القرآن الكريم ودرس بعض العلوم كالفقه والتفسير واللغة العربية والحساب، وبصفته الابن الأكبر فقد تشبعت نفسه بروح القيادة وإدارة الأمور[32].

تسلم الطيب ابن سالم رئاسة العائلة وإدارة الزاوية بعد وفاة والده، عرف بذكائه وثقافته وحكمته وعدله، حيث قام بتأمين المنطقة التي يحكمها، وذلك بفضل نشاطه وهيبته الدينية لدى السكان، ونال إعجابهم بفضل خصاله الحميدة. وصف أحمد ابن سالم على أنه طويل القامة يحمل لحية سوداء وذو عينين سوداوين وأسنان بيضاء ناصعة البياض، رجل يتسم بالعقل والرزانة والتقوى وبتواضعه وعمله الدائم من أجل المصلحة العامة.[33]

7-توليه شؤون الخلافة:

شرع الأمير "عبد القادر بعد عقد معاهدة التافنة في30 ماي1837م في إتمام مشروعه الوطني وتنظيم الدولة، وذلك من خلال إلحاق المناطق الباقية من الوطن بعدما كسب تأييد إقليمي وهران والتيطري والصحراء، وبقيت منطقة القبائل التي كانت تمتد من الجزائر إلى مدينة بجاية شرقا[34]. التي لم تكن تحت سلطته، عند وصول الأمير عبد القادر منطقة بوسعادة في سنة1837م واصل سيره إلى منطقة شلالة وحمام كسانة بمنطقة البويرة، فقد استقبله "سي أحمد الطيب ابن سالم" مرحبا به وعارضا عليه خدماته، فقرر الأمير الذي كان على دراية بالخصال

الأخلاقية والعسكرية لهذا الرجل، بتعيينه خليفة يمثله في منطقة سيباو، وفي وادي الساحل وفي منطقة القبائل كلها[35]. في سبتمبر 1839م في برج حمزة متبوعا بخمسين فارس فقط وكان ابن سالم خليفة المخلص إلى جانبه، وإذا ما سأل بعضهم عن ما يقترح "عبد القادر" فعله كان الجواب" لنكسب تأييد جرجرة"[36]. وهكذا ولي احمد ابن سالم الدبيسي على مقاطعة الجبال الكبرى التي عاصمتها برج حمزة[37].

8- مساهمة الخليفة في بناء الدولة الجزائرية الحديثة:

تختلف أهمية الخليفة ودرجته حسب المنطقة التي يحكمها حيث كانت جميع المقاطعات تتمتع باستقلال ذاتي كبير، كان الخليفة محترما كونه شخصية دينية وعسكرية وسياسية في آن واحد، حيث كان يستمد نفوذه الأساسي من لقبه ومركزه في الدولة، فهو شخصية ذات مركز اجتماعي قوي في منطقته، كان له أنصار وأتباع يعتمد عليهم في الحرب والسلم، ولهذا الاعتبار فالخليفة غير قابل للتنقل من مقاطعة إلى أخرى[38]، فهو الممثل المباشر للأمير في الإقليم الذي فوض له إقرار سلطته عليه[39]، كان الخليفة أحمد طيب ابن سالم من المسؤولين عن إدارة شؤون المنطقة وقيادة قواتها المسلحة[40]، حيث قام بتنظيم أموره المحلية وأقام مركز قيادته في برج سيباو، وأعطى الأولوية لإعادة الأمن والاستقرار في منطقة القبائل، بفضل خصاله الحميدة في مصالحة الأطراف المتصارعة شارحا لهم الوضعية البلاد في ظل الاحتلال الفرنسي وتوسعاته، فكرس جهده في تنظيم الإدارة، وتوفير الوسائل الضرورية لتحقيق أهدافه.[41]

9- نماذج من المعارك قوات المقاومة الوطنية بقيادة الخليفة بن سالم ضد قوات الاحتلال الفرنسي:

أ- معركة بودواو الأولى في أفريل 1840:

أشاد الأمير عبد القادر بالقدرات العسكرية لقوات الخليفة بن سالم بعد سماعه لأخبار التضحية التي أبداها جنوده فنزل بمعسكر خليفته وطلب منه إستدعاء القبائل مجددا للمقاومة، فاحتشدت القبائل تلبية للنداء فتم استهداف

الحامية الفرنسية المتمركزة في منطقة بودواو، والتي استطاعت الصمود باستعمالها للمدفعية وسد منافذ تحصيناتها، حيث دامت المعركة يوما كاملا ثم انسحبت القبائل المشاركة في المعركة، وبعد ذلك لجأ الخليفة بن سالم إلى فرض الحصار الاقتصادي على مدينة الجزائر العاصمة بقطع كل العلاقات التجارية بينها وبين القبائل القاطنة بالمنطقة الشرقية[42].

ب- معركة رأس سوطة و بئر خادم 25 أفريل 1840م:

هاجمت قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الخليفة بن سالم في 25 أفريل 1840م قوات الاحتلال الفرنسي بمنطقة "رأس سوطة" بقوات تعدادها ما بين 200 من المشاة و300 فارس، فقد تمكنت قوات المقاومة الوطنية من قتل بعض الجنود التابعين لقوات الاحتلال الفرنسي، كما استغل الخليفة خروج الجنرال" فالي" إلى واد الشفة قصد الزحف على مدينة المدية، ليقوم بهجمات مباغتة على مشارف مدينة الجزائر، فواصلت قوات المقاومة الشعبية الوطنية الهجوم في 28 أفريل 1840 على منطقة "بئر خادم"، وفي 15 ماي توغلت على بعد مسافة03 كلم إلى غاية منطقة الحراش، وقد تمكنت من القضاء على عدد من قوات الاحتلال الفرنسي، وهاجمت الحصن المسمى ميزون كاري الذي أسرع الجنرال فالي بإخلائه والرحيل إلى حصن"قارة مصطفى"بالضفة اليسرى لمنطقة بودواو[43].

ج- معركة بودواو الثانية سبتمبر 1840م:

قرر الجنرال فالي في شهر سبتمبر 1840م إخلاء حصن قارة مصطفى الواقع على الضفة اليسرى لوادي بودواو على بعد ألف وخمسمائة متر من الواد، وترك فرقة صغيرة مجهزة بالمدفعية والذخيرة اللازمة لإبقاء السيطرة الفرنسية على وادي الخضرة بوادي بودواو، فلما استعلم الخليفة بن سالم بانسحاب جيش الاحتلال الفرنسي من المنطقة، قرر الزحف على منطقة بودواو للقضاء على ما تبقى من قوات الاحتلال الفرنسي، استطاعت قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الخليفة بن سالم أن تحاصر الحامية الفرنسية ليصبح وضعها حرجا بعدما منعها من التزود بالماء، وظهر عجز قوات الإحتلال الفرنسي المتواجدة بمنطقة" الحميز"

عن إغاثتهم، قرر الجنرال شونقارني الزحف على منطقة بودواو انطلاقا من مدينة الجزائر في 17سبتمبر1840م على الساعة الثامنة مساءا وبعد قطع قوات المقاومة الشعبية الوطنية 28 كلم وصل إلى معسكر الخليفة في الصباح الباكر، تم مباغتة قوات المقاومة الوطنية بقيادة الخليفة بن سالم، ومن نتائج هذا الهجوم استشهاد129 جزائري وتم أسر17جنديا، ونهب 40 حصانا 200 بندقية، بينما خسائر الصف الفرنسي قدرها شونقارني بـ: 20 قتيلا وحصان[44].

د- معركة "راسوطة بمنطقة الحراش في 1841/04/12:

رغم الهزيمة التي منيت بها قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الخليفة بن سالم بمنطقة بودواو إلا أنها، شنت هجوما آخر بمنطقة راسوطة ضواحي الحراش على قوات الاحتلال الفرنسي، بقوات تعدادها أربعمائة فارس400 والهدف من الهجوم هو القضاء على قوات بعض العملاء المقيمين بالمنطقة، فقد تمت مطاردة قوات الاحتلال الفرنسي التي كانت بقيادة الضابط بيلي"Bily"بتعداد ثلاثمائة جندي بمنطقة الحراش، ومن نتائج هذا الصدام مقتل العديد من فرسان قوات المقاومة الشعبية الوطنية، أما بالنسبة للقوات الفرنسية تم جرح07جنود[45].

هـ- معركة اوراز الدين في 12 ماي 1844م:

بعدما تأكد الجنرال بيجو أن مسألة الإستسلام وإبعاد الخليفة بن سالم عن المنطقة أمرا صعبا لا يتحمله سكان منطقة القبائل، شنت قوات الإحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال فالي هجوما أكثر شراسة، بحيث قامت بقطع أشجار الزيتون وتخريب المحاصيل الزراعية وحرق القرى، فقام سكان القبائل بقيادة الخليفة بن سالم وسي الجودي وبلقاسم أوقاسي بقوات تعدادها 20000 جندي، قسمت إلى ثلاثة أقسام لصد قوات الاحتلال الفرنسي، استعلم الجنرال بيجو عن قوات هذه القبائل فطلب الإمدادات من مخيم برج منايل بتعداد 7000جندي للتوغل على منطقة فليسة، فهاجمته قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الخليفة بن سالم بتعداد قدره 50000 مقاوم لصد تقدمه وتم سد الممر أمام هذا الهجوم بجانب الواد،[46] ثم انتقلت قوات المقاومة الوطنية لتنتشر بأربع قرى تابعة لقبيلة عمراوة،

فتمت الإشتباكات بين الطرفين في معركة صعبة وقوية خلفت دمارا كبيرا وتم استشهاد500 جندي.

بعد نهاية هذه المعركة تقدمت قوات الإحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو إلى قبيلة فليسة، بعدما وصلته الإمدادات، فوجد سكانها على أتم الاستعداد لمواجهته بمكان يدعى "اوراز دين"، فدارت معركة جد عنيفة بين الطرفين دامت 14ساعة، خسرت قوات الإحتلال الفرنسي32قتيلا و95جريحا، أما الخسائر الجزائرية كلفت قوات المقاومة الشعبية الوطنية 1100شهيد و1600جريح وتدمير50منزلا حسب الإحصائيات الفرنسية[47].

و- معركة أولاد عزيز في 19جوان 1845:

نصبت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الضابط اربوفيل" Arbouville" مخيمها بالضفة اليسرى للواد المارج بالقرب من منطقة ذراع الخميس، للقيام بحملة استطلاعية وبعد ساعة من المشي وصلت قوات الاحتلال الفرنسي إلى كدية تطل على قرى أولاد عزيز، وقد كانت حينها قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الخليفة بن سالم تتمركز بقمة جبل الناضور الذي يقع على إمتداد السلسلة الجبلية لجرجرة، وبعدما استطلعت قوات الإحتلال الفرنسي المنطقة باشرت الهجوم على قرى المنطقة من الجهة اليسرى قصد نهبها وحرقها، فقام سكان القرى بحرق أكواخهم واستعدوا لصد الهجوم انطلاقا من قمم الجبال، خلفت المعركة العديد من الجرحى في الصفوف الأمامية لقوات الاحتلال الفرنسي، ولم تستطع قوات المقاومة الشعبية الوطنية الصمود نظرا لتعداد الجيش الفرنسي وتطور عتاده الحربي، بينما كانت قوات المقاومة تعاني في نقص العتاد والذخيرة، لذا انسحبت إلى منطقة قل جعبوب بعد مقتل 20 شهيدا وحرق11 قرية لأولاد عزيز[48].

ن- معركة شراك الطبول فيفري 1846:

رجع الأمير عبد القادر من المغرب الأقصى في سنة 1846م فذهب إلى منطقة القبائل، تلبية لطلب خليفته بن سالم الذي راسله عدة مرات، هذه التطورات التي شهدتها المنطقة جعلت الحاكم العام يعلن حالة الطوارئ، وقد كان العقيد سانت

أرنو يتتبع قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر في شهر فيفري 1846م، إلا أنه لم يتمكن من مواجهته في معركة فاصلة لأن الأمير تحاشى الصدام نظرا لعدم تكافؤ القوى، فاجتهد الأمير على تجنيد المزيد من شباب القبائل الكبرى أهمها قبيلة"فليسة أم الليل"بمنطقة"شراك الطبول"حيث فاجئت قوات الإحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال "جونتي"Gentil والعقيد" بلونجيني Blangini"، قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر رفقة الخليفة بن سالم التي كانت معسكرة بالمنطقة، التقت القوتين في مواجهة عنيفة أظهر خلالها الأمير حسن التدبير في سحب قوات المقاومة دون تعرضها لخسائر في الأرواح، حيث فقدت 60 بندقية وأحصنة وخيم وبعض المواشي[49].

10- مصير الخليفة بن سالم:

بعد إستحالة مواصلة المقاومة ضد قوات الإحتلال الفرنسي وخاصة بعد خضوع القبائل التي كانت تساند الخليفة بن سالم في المقاومة وإستسلام أهم القادة الذين كانوا بجانبه، إلى جانب السياسة الإستعمارية المتخذة بالمنطقة لإخضاع القبائل عن طريق عمليات الإبادة وسياسة الأرض المحروقة، قرر الخليفة بن سالم إنهاء القتال فتقدم مع ذويه إلى مدينة سور الغزلان، وأعلن التسليم للسلطات الإستعمارية الفرنسية في 19 فيفري 1847م[50]، وبعد تسليم نفسه مع أتباعه بالمركز العسكري بسور الغزلان يوم28 فيفري1847م، إنتقل بعدها إلى مدينة لجزائر، وتم نفيهم يوم24سبتمبر 1847م إلى بلاد الشام ليستقروا بدمشق[51].

الخاتمة:

برهنت المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الخليفة بن سالم على التقاليد الجهادية للشعب الجزائري في رفضه للأجنبي من خلال عدة معارك خاضها الخليفة ضد قادة الإحتلال الفرنسي أهمها: معركة بودواو الأولى في أفريل 1840، معركة رأس سوطة و بئر خادم 25 أفريل 1840م، معركة بودواو الثانية سبتمبر 1840م، معركة "راسوطة بمنطقة الحراش في 1841/04/12م، معركة أوراز الدين في12ماي1844م،

معركة أولاد عزيز في 19جوان 1845م، معركة شراك الطبول فيفري 1846م، في مجابهة قوات الإحتلال الفرنسي، بالرغم من المآسي وصعوبات التجنيد وقلة المؤونة والذخيرة الحربية، إلى جانب التفاوت التجهيزي بين قوات جيش الإحتلال الفرنسي وجيش المقاومة الوطنية عدة وعددا، لم يكتمل المشروع الذي أقامه الأمير عبد القادر وخلفاؤه، نظرا للظروف الإجتماعية المتمثلة في التفكك الاجتماعي وعدم القدرة على الوحدة الوطنية والمقاومة، نتيجة غياب الوعي الوطني والشعور بالمسؤولية في تأدية الواجب الوطني، ضد القوة الإستعمارية الفرنسية، لكن الخليفة بن سالم إنتصر معنويا بزرع روح استمرار المقاومة في الشعب الجزائري إلا أن قوات المقاومة الجزائرية واصلت المقاومة والدفاع عن الوطن، وجسدت فكرة حب الوطن والحرية في ظل السياسة الإستعمارية التعسفية التي واجهتها بعمليات الإبادة وسياسة الأرض المحروقة المحارق ضد الشعب الجزائري، فقد إعتمدت عليه الحركات الجهادية والتي واكبت الصراع ضد قوات الإحتلال الفرنسي.

الهوامش:

1- حمزة: تقع على الضفة اليسرى من وادي الصومام على مسافة ثلاثة أيام من العاصمة ويومين من بيبان الحديد ومن المدية أنشأ فيه الأتراك حامية كانت تحرس المنطقة من البيبان حتى وادي يسر، وقد ضمت حمزة إلى بايلك قسنطينة ثم إلى التيطري ثم قبل 1830 إلى مقاطعة الجزائر. كانت حمزة منطقة نزاع بين فرنسا والأمير عبد القادر الذي كان يعتبرها تابعة لإقليم التيطري ينظر:

2- E. Daumas, Correspandances du capitaine Daumas consul à Mascara ,1837-1839, Collection de documents inédits par le Gouvernement Général d'Algérie, éd. Jourdan, Paris, 1921, p. 45.

3- أديب حرب ، التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ج. 1، ص. 46-51.

4- عبد الله شريط ، محمد مبارك الميلي ، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985، ص.234.

5- قداش محفوظ ، الأمير عبد القادر، سلسلة الفن والثقافة وزارة الإعلام والثقافة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع التميرا روتبورس، مدريد،1974، ص.43.

6- A. Belmare, Abdelkader sa vie politique et militaire, éd. Bouchene, Paris, 2003, p. 118.

7- -T.-R. Bugeaud, Exposé de l'état actuel de la société arabe du gouvernement et de législation qui la régit, éd. Imprimerie du Gouvernement, Alger, 1844, p. 30-45.

8- أوصديق فوزي، النظام الدستوري دولة الأمير عبد القادر دراسة تحليلية مقارنة، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2003، ص.21- 22.

9- L. Mostafa, L'Algérie nation et société, éd. Maspero, Paris, 1969, p. 54.

10- محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تحقيق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، دمشق، 1966 ، ص.308.

11- -أديب حرب، المرجع السابق، ج2، ص. 374.

12- نفسه، ص374.

13- عوض صالح، معركة الإسلام و الصليبية في الجزائر من 1830-1962، الزيتونة للإعلام والنشر ، الجزائر،1989، ج1، ص.103.

14- -E. Daumas, Correspandances du capitaine Daumas consul à Mascara ,1837-1839, op.cit,p 626.

15- محمد بن الأمير عبد القادر ، المصدر السابق ، ص.306.

16- -E. Daumas, Correspandances du capitaine Daumas consul à Mascara ,1837-1839, op.cit, p, 603.

17- أديب حرب ،المرجع السابق ،ج1، ص341.

18- -T.-R.Bugeaud,Exposé de l'état actuel de la société arabe du gouvernement et de législation qui la régit, op.cit, p37.

19- محمد بن الأمير عبد القادر ، المصدر السابق، ص.309.

20- ناصر الدين سعيدوني، النظام الضرائبي لدولة الأمير عبد القادر ، مجلة الثقافة،العدد 75، وزارة الثقافة ، الجزائر،1983، ص. 123- 126.

21- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004 ، ص.135.

22- - T.-R.Bugeaud,Exposé de l'état actuel de la société arabe du gouvernement et de législation qui la régit,op.cit,p4.

23- شارل هنري تشرشل ، المصدر السابق، ص135.

24- T.-R.Bugeaud,Exposé de l'état actuel de la société arabe du gouvernement et de législation qui la régit, op.cit p46.

25- شارل هنري تشرشل ،المصدر السابق، ص.140.

26- نفسه، ص.142.

27- B.Abdelhamid, L'État Algérien en 1830 institutions sous l'émir Abdelkader, entreprise populaire algérienne, éd. SNED, Alger.,p ,93.

28- إسماعيل زروخي، الدولة الوطنية وأصالتها عند الأمير عبد القادر، مجلة سيرتا، العدد12،منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999، ص. 140.

29- بدرالدين شعباني - عمر بوضربة، الخليفة سي طيب بن سالم الدبيسي، مجلة مسالك ، العدد5 ،الجزائر، 2000 ، ص.11.

30- 29-M. S.Ferd, histoire de Tizi Ouzou des origines 1954, ENAP, Alger, 1990 ,p .65

31- زاير عبد القادر، دور خلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية 1832- 1847، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت اشراف الطيبي محمد، جامعة وهران،2009- 2010، ص. 85.

32- محمد صغير فرج، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، ترجمة موسى زمولي، وكالة ثالة، الجزائر، 2007، ص. 63-64.

33- زاير عبد القادر، المرجع السابق، ص. 86.

34- أيت يحياتن يحي ، رموز من عمق التاريخ، منشورات السهل، الجزائر، 2009، ص. 49.

35- زاير عبد القادر، المرجع السابق، ص. 87.

36- محمد صغير فرج، المرجع السابق، ص.63.

37- شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص.196.

38- أديب حرب، المرجع السابق ، ج2 ، ص52.

39- إسماعيل العربي، الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس دولة و قائد جيش، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م. ، ص. 25.26.

40- فريدة قاسي، الدولة في فكر الأمير عبد القادر(1832-1847)، منشورات بونة للبحوث و الدراسات، الجزائر، 2012 ، ص.184.

41- أديب حرب، المرجع السابق ، ج2، ، ص.453.

42- محمد صغير فرج، المرجع السابق، ص.65-66.

43- N.J .Robin, Notes historiques sur la grande Kabylie de 1838-1851, Revue Africaine, t.46,1902, p.61.

44- Ibid., id, p 64 - 65. -T. Changargnier, Mémoire du général Changargnier, éd.Levrault, Paris, 1930, p.151-152.44

45- -N.J .Robin, Notes historiques sur la grande Kabylie de 1838-1851, op. cit, p66.

46- J. Ladmir, Les guerres d'Afrique, éd. Renault, Paris, 1858, p.306

47- Ibid., id ,p, 307-308.

48- N.J .Robin, Notes historiques sur la grande Kabylie de 1838-1851, op.cit p,204-206.

49-

50- S. Aouli, R. Redjala, Ph. Zoummeroff ,Abdelkader, éd. Fayard, Paris, 1994, p.368.

51- N.J.Robin,Notes historiques sur la grande Kabylie de 1838-1851, Op.cit, t.46,1902, p.65- 70.

52- جمال يحياوي- سهيل الخالدي، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال، منشورات المركز الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص 197.